## الباب الخامس

#### خاتمة

يقدم الباحث في هذا الباب الخلاصة من البحث وبعض الاقتراحات كي يهتم بما من يهمه الأمر

#### أ. خلاصة

د ما بحث الباحث هذه الرسالة بالموضوع السابق وصل في نهاية رحلته إلى النتائج التالية:

1. أبو حيان هو الشيخ الإمام الحافظ العلامة فريد العصر وشيخ الزمان وإمام النحاة أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي الغرناطي الأثري الجيّاني النفزي ثم المصري الظاهري ثم المغربي المالكي ثم الشافعي، والنفزي نسبة إلى نفزة بكسر النون أو فتحها، وهي قبيلة من البربر نحوى عصره ولغويه ومفسره ومحدثه ومقربه ومؤرخه وأديبه. ولد بمطخشارش مدينة من حضيرة غرناطة في آخر شوال سنة أربع وخمسين وستمائة، وأجمع المؤرخون على مولده في هذه السنة، إلا أن ابن قاضي شهبة ذكر أنه ولد سنة اثنين وخمسين وستمائة أو أربع وخمسين وستمائة، وألبعاع كالصفدي والسيوطي. قد توفاه الله في صفر سنة 745 خمس وأربعين وسبعمائة، وقد شاء الله عز وحل أن

يدفن بعيداً عن مسقط رأسه، فقد دفن بمقبرة الصوفية بمصر خارج باب النصر وصُلى عليه في الجامع الأموي بدمشق صلاة الغائب رحمه الله رحمة واسعة.

قد سمع أبو حيان وتلقى عن عدد كبير جدا من أهل العلم في زمنه وحصل الإجازات من عدد أكبر، وها هو يقول: "وجملة من سمعت منهم نحو أربعمائة شخص وخمسين، وأما الذين أجازوني فعالم كبير جدا من أهل غرناطة ومالقة وسبتة وديار إفريقية وديار مصر والحجاز والعراق والشام". وقال في موضع آخر: "وجملة معت منه خمسمائة، والجيزون أكثر من ألف". وقال الصفدي: "بلغ عدة شيوخه أربعمائة، وأجاز له جمع جمّ وقد جمعهم في كتاب: "البيان في شيوخ أبي حيان" فبلغوا ألفا وخمسمائة". وذكر أبو حيان في إجازته للصفدي عددا من شيوخه بلغ عددهم خمسين. قال الشوكاني: "إن عدة من أخذ عنه أربعمائة وخمسون شخصا وأما من أجاز له فكثير جدا. وهذا عدد كبير جدا من العلماء والأساتذة الذين تتلمذ أبو حيان عليهم. كما تصدر أبو حيان للتعليم بعد أن اخذ شهرة عظيمة، وأقبل عليه طلاب العلم من كل مكان يأخذون عنه شتى العلوم: القراءات، والتفسير، والحديث، والفقه، وعلوم اللغة. كما ترك أبو حيان رحمهالله تعالى للمكتبة الإسلامية والعربية الكثير من المؤلفات النافعة المفيدة، وقد بلغت هذه

المصنفات ستة وأربعين كتابا في علوم مختلفة، منها ما هو في القراءات، ومنها ما هو في التفسير، ومنها ما هو في اللغة، والنحو إلى غير ذلك من العلوم.

2. يعد كتاب ارتشاف الضرب من لسان العرب بحق موسوعة نحوية جمع فيها أبو حيان منابع النحو وروافده، وذلك حتى عصره، ولم يقدم لنا هذا الكتاب إلا بعد أن اطلّع على آراء النحاة المتقدمين والمتأخرين، فأفاد منها، فجاء كتابه منطوياً على زبدة آرائه النحوية واللغوية. قال السيوطي متحدثاً عن كتاب ارتشاف الضرب وكتاب التذييل والتكميل،: "ولم يؤلف في العربية أعظم من هذين الكتابين، ولا أجمع ولا أحصى للخلاف والأحوال، وعليهما اعتمدت في جمع الجوامع". ومن منهج أبي حيان في الكتاب هو الاستيعاب التام لآراء ومذاهب النحاة في قضية واحدة أو جزئية من الجزئيات، وهذا يدل على الإحاطة والشه ول التي تميز بها هذا العالم الفذ، كما عرض خلافات النحاة في المسائل الجزئية والعلل والافتراضات والجدل حول أمور لا تفيد، ويرد أبو حيان هذا الجدل بأنه لا يجدى كبير فائدة ما دام لا ينبني عليه حكم فهو ضد الخلاف الذي ليس وراءه فائدة. كما اهتم أبو حيان كثيرا بذكر الخلافات بين النحاة مثل الخلاف بين سيبويه والمبرد وابن السراج، وكما اهتم كثيرا بإبراز الخلافات بين البصريين والكوفيين وحجج كل فريق منهم في تناول القضايا النحوية والصرفية. ويذكر أبو حيان رأيه في كثير من المسائل الخلافية حيث

يسرد آراء النحاة في المسألة ثم يقول رأيه. ولا يخلو هذا الكتاب من بعض المآخذ، منها: أن أبا حيان يستطرد أحيانًا في عرض المسائل الخلافية، كأن يبدأ بعرض مسألة ما، ثم ينتقل إلى موضوع آخر، ويعود ليتمها، ومنها الغموض والاختصار في عرض المسائل الخلافية، فقد يعرض المسألة الخلافية بإيجاز واختصار شديدين من دون ذكر الشواهد والمذاهب التي تعين القارئ على فهم المسألة. وأدلة النحو في كتاب ارتشاف هي السماع من القرآن الكريم ووجوه قراءاته، والحديث النبوي الشريف، وكلام العرب، ومنها القياس، والإجماع، واستصحاب الحال.

3. بدأت المدرسة البصرية منذ نشوء النحو، فقد كانت البصرة صاحبة الفضل في وضعه وتعهده وفي نشأته أيضا، بينما كانت الكوفة متصرفه عنه بما شغلها من أمور علم الفقه ووضع أصوله ومقاييسه. ونحاتها سبع طبقات، على رأسهم أبو الأسود الدؤلي، وفي عجزهم المبرد. وأهم القواعد أو الأسس التي سارت عليها المدرسة البصرية: السماع عن القبائل العربية الخالصة الفصاحة التي تسكن البادية التي سلمت ألسنتها من الخلل والفساد مثل: (قيس، أسد، وتميم)، والرواة لابد أن يشهد لهم بالثقة فلا يأخذون إلا ممن يُشهد له بالخفظ والثبات وأن يكون عربيا خالصا، وسعت هذه المدرسة إلى أن تكون القواعد مطردة اطرادا واسعا، فكانت تطرح الروايات الشاذة ولا تتخذها أساسا لوضع قانون نحوي، ويقيسون على الكثير ويستنبطون منه

القاعدة وما خالفه يخرجونه إلى باب الضرورة الشعرية، أو يضيفونه إلى باب الشاذ أو النادر، أو يعمدون إلى التأويل، وقد غلبوا القياس على المسموع، مؤولين الشواهد التي تخالف قياسهم، كما قالوا بما سموه مطردا في السماع شاذا في القياس. وتفصيل ذلك أن البصريين تحروا مانقلوه عن العرب، ثم استقرأوا أحواله فوضعوا قواعدهم على الأعم الأغلب من هذه الأحوال، فإن وجدوا نصوصا قليلة لا تشملها قواعدهم اتبعوا إحدى طريقتين، إما أن يتأولوها حتى تنطبق عليها القاعدة، و إما أن يحكموا عليها بالشذوذ، أو أن تحفظ ولا يقاس عليها.

والمدرسة الكوفية فرع لمدرسة البصرة في النحو إلا أن الكوفيين قصدوا إلى أن يكونوا مستقلين، يحدُّ من هذا القصد أتم كانوا تلاميذ للبصريين وإلى جانب عكوفهم جميعا على كتاب سيبويه ينهلون منه، وإن حاولوا جاهدين أن يميزوا نحوهم بمصطلحات تغاير مصطلحات البصريين، فوذ إلى أراء خاصة بهم في بعض العوامل والمعمولات. وكان نحاة الكوفة يهتمون اهتماما واسعا برواية الشعر وكان الاهتمام هذا نتيجة لوجود القبائل العربية في الكوفة، والتي تمثل الطبقة الأولى فيها فاهتموا برواية الشعر وتدوينه للتغني بمفاخر الآباء والأجداد، وعنوا عناية واسعة بروية الأشعار القديمة وتصنيف دواوين الشعر، وان لم يعنوا بالتحري فيما جمعوا من أشعار، فساهموا بذلك في الحفاظ على قدر كبير من التراث الضخم من أشعار

العرب، إذ أصبح هذا عمدة الدرس النحوي واللغوي. وأما أسس المذهب الكوفي فهي: توسعهم في السماع، وقياسهم على كل مسموع يصل اليهم، وعدم تثبتهم في الرواية ومعظم شواهدهم كانت منقولة عن حماد الرواية وهو معروف بالانتحال، وعدم التشدد في السماع عن القبائل العربية، إذ نقلو عن الأعراب الموجودين في الكوفة، والمتاخمين لأهل الحواضر في حين أن مدرسة البصرة كانت ترفض ذلك، والقياس على الشاهد الواحد حتى لو خالف الاصل المعروف والمتفق عليه، والاستشهاد بشطر بيت لا يعرف شطره الآخر وقد لا يعرف قائله. ومصادر النحو الكوفي هي: النحو البصري، ولغات الأعراب، والشعر العربي، والقراءات القرآنية.

لم يكن أبو حيان مقلدا للبصريين أو غيرهم، وإنما كان يعرض الآراء المختلفة ويمعن النظر فيها. فإذا ما اعتقد بصحة رأي أخذ به ورجحه على غيره وإن كان مخالفا لآراء البصريين الذين سار على منهجهم ورجح معظم آرائهم. ومن هنا نجده يوافق البصريين أحيانا أو الكوفيين في بعض المسائل.

كان أبو حيان يوافق البصريين في مسائل كثيرة، كنصب المضارع بعد حتى، وأو، وفاء السببية، وواو المعية بأن المضمرة وجوبا، وأن "نعم وبئس" فعلان، وأن الاسم المرفوع بعد إذا الشرطية فاعل لفعل محذوف، وأن المصدر أصل والفعل مشتق منه،

وأن أصل ضمير الغائب "هو وهي"، وأن ضمير "أنا" ثنائي، وأن "كان وأخواتها يرفعن المبتدأ وينصبن الخبر، وغير ذلك.

كماكان يأخذ برأي الكوفيين في مسائل مختلفة، ومن ذلك أن المبتدأ يرفع الخبر والخبر يرفع المبتدأ، وهما يترافعان، وأن من الجارة لابتداء الغاية الزمانية، وأنه يجوز على المضمير المجرور دون اشتراط إعادة الخافض، وأنه يجوز الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير الظرف والجار والمجرور.

إن أبا حيان مهما وافق ببعض آراء البصريين والكوفيين في النحو فإنه له آراؤه الانفرادية التي يتحرى بها عن غيره من النحاة، والمراد بهذه الآراء الانفرادية هي الآراء التي انفرد أبو حيان بالتنبيه إليها وبناها على استقرائه الخاص والأبنية التي استدركها على سيبويه وغيره من النحاة، وأهم هذه الآراء إما في بنية الكلمة ودلالتها كقوله في على سيبويه وغيره من النحاة، وإما في صيغة العبارة كقوله في صفات الله تعالى إنما إنما إنما لا تدل على الحصر، وإما في صيغة العبارة كقوله في صفات الله تعالى إنما يجوز التعحب منها، وإما في المعمولات كاختياره إقامة ظرف المكان نائبا للفاعل، كما ذكرتها الدكتورة خديجة الحديثي في تأليفها.

## ب. الاقتراحات

وما فعل الباحث في هذه الرسالة إلا كوضع خطوة لمن تلاه خدمة اللغة العربية وخاصة في أفكار أبي حيان النحوية ومكانتها بين مدرستي البصرة والكوفة. راجيا أن

ينفعه الله بما وعشاق العلوم العربية والمسلمين. إتماما للفائدة يقدم الباحث الاقتراحات التالية:

## 1. إلى جميع من قرأ هذا البحث المتواضع:

- أ) ، يشير الباحث إلى ما نقص منه في المواد البحثية المتعلقة بهذا البحث ليقوم بإصلاحه حتى يكون بحثا صالحا للقراءة والمطالعة.
- ب) أن يزود الباحث ما يحتاج إليه من البيان النافع ومن المعلومات المتعلقة بمضمون البحث ليكمله الباحث حتى يكون هذا البحث بحثا يقرب إلى الكمال.

# 2. إلى من تهمه العلوم العربية عامة والنحو العربي خاصة :

- أ) أن يتمموا هذا البحث النفيس بما يتعلق من خصائص أبي حيان الأندلسي في النحو من خلال مؤلفاته الذاحرة في علم النحو وفي العلوم الأخرى.
  - ب) أن يعودوا نفوسهم بالبحث العلمي حول اللغة العربية والنحو العربي.
- ج) أن يجعلوا كتب النحو التراثي أساسا لعلومهم ومعارفهم كمفتاح في تعاليم الإسلام.

وفقنا الله بكل أعمالنا وجعلنا من عباده العالمين العاملين لخدمة الإسلام والمسلمين.